تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٢٨ الكورة

الكورة من اخصب انحاء لبنان تجمع بين ارفاق السهل والجبل. ولا مراء انّ الناس سكنوها منذ القرون الغابرة. ولو بنينا الحكم على ما يوجد من التشابه بين اسم قريتها «اميون» وعلَم آخر «اميا» ورد ذكرهُ في مكاتبات تلّ العمارنة (المشرق ٣: ٧٨٩) لصحّ القول انها اقدم مقاطعة في داخل لبنان احتلّها السكّان. وفي الكورة آثار ترتقي الى عهد اليونان والرومان كما سترى

٢٩ دار بعشتار — بزيزا — ناوس

اذا ما قطعتَ نهر الجوز الفاصل بين مقاطعتي الكورة والبترون لقيتَ بادئًا دار بعشتار. وهي قرية فيها شيء من بقايا القرون الوسطى منها كنيسة ذات حنية محكمة العمل تكتنفها اخربة قديمة من العهد نفسه. غير ان اسم دار بعشتار جدير بالاعتبار. وهو مركّب من لفظتي بيت وعشتار. وعشتار هذه هي إلهة الفينيقيين الشهيرة. فيُستدلُّ بذلك على انّ هذه القرية كانت سابقًا هيكلًا لعشتروت يعبدها فيه اهل لبنان

واذا يممتَ الشمال الشرقي بلغت بعد قليل قرية بزيزا ولعلّ اسمها منحوت من بيت عزيز. فالباء اختصار لفظة «بيت» شائعة كبحديدات وبحمدون وبزمّار. اما عزيز فاحد الآلهة الساميين سرَّ ذكرهُ في المشرق (٤: ٧٢٩). وفي بزيزا هذه هيكل صغير قديم العهد حسن البناء لم يُضعضعهُ حدثان الدهر. ولمّا تنصّر الاهلون جعلوا الهيكل كنيسةً واضافوا اليها حنايا آثارُها باديةٌ حتى اليوم. وهم يدعونها كنيسة العواميد او سيدة العواميد لما يزين واجهتها من الاعمدة. وليس هناك كتابة تفيدنا عن امر هذا البناء القديم وغايته

وقس على ذلك قرية ناوس التي موقعها شمالي شرقي بزيزا على مسافة اربعة كيلومترات منها. وهي فوق ربوة قريبة من قرية عين عقرين الحاليّة. وما ناوس الّا تعريب اللفظة

اليونانيَّة ναός يراد بهـا الهيكل. واذا استثنيت بعلبك وآثارها الجبَّاريَّة لا تجد في كل لبنان ما يضاهي بقايا ناوس واطلالها اتساعاً وعظمةً. امَّا نقوشها فهي ايضاً دون نقوش بعلبك دقَّةً واحكاماً وفيها مسحةٌ من الصناعة السوريَّة. وهي من عهد الرومان كابنية بعلبك

وفي ناوس اخربة هيكلين كبيرين يلاصق احدهما الآخر يحدق بهما سوران وحبان وفي وسط كلٍّ منهما معبد قليل الاتساع تزينهُ اعمدة مُصمتة تراها على صورة هيكل حصن سليمان في جبل النصيريَّة (١ واركان الابواب التي يُدخل منها الى حرم الهيكل من الحجارة الضخمة وهي منقورة على شكل درج. وآثار هذا الدرج باقية حتى يومنا. ولا ريب انهُ كان في الزمن القديم لهذين الهيكلين منظر يأخذ بالابصار. وكان الناظر يكتشف من هذه الاكمة المرتفعة نحو ٦٠٠ متر فوق سطح البحر على كل الساحل من البترون الى ما وراء طرابلس. وهو يرى سهول الكورة ومزارعها الجميلة ممتدَّةً امامهُ

واذا لحظت النقوش التي على الهيكل الشرقي وجدتها خشنةً غليظة. وليس هناك من الحجارة الضخمة سوى مساند الابواب والصفائح المثلَّثة الزوايا التي تعلوها. امَّا بقيَّة الحجارة فهي متوسِّطة الكبر كحجارة اقتا وقلعة فقرا. وفوق باب المدخل صورة كرةٍ مجنَّحة تزينهُ وقد ألف الفينيقيون مثل ذلك في هياكلهم (راجع وصفنا لقرية اده في المشرق ٣: ٥٤٢)

امَّا الهيكل الآخر الذي موقعهُ جنوبيّ غربي الهيكل السابق ففيهِ بقايا حسنة من نقوش ابوابهِ. وقد وجدنا بين ردم الهيكل تمثالاً نصفيًّا يمثِّل البعل وعلى رأسهِ شعاع الَّا انَّ تقشهُ خشيب وظنُّ انهُ سقط من الكوَّة التي تعلو البـاب. ولهذا الهيكل سورٌ حجارتهُ جبَّاريَّة تشبهُ حجارة دير القلعة يبلغ طول بعضها ستـة امتار

ونضرب صفحاً عن المدافن الجميلة والمقاطع المتسعة والنواويس المنقوشة التي تُرى حول قرية ناوس لئلا نعود الى ذكر آثار وصفناها مرارًا. على ان هذه المدافن والمقاطع تدلُّ دليلاً بيّناً على انَّ تلك الانحاء كانت في الاجيال الخالية عامرةً حافلة بالسكَّان وان لم يُفدنا التاريخ من امرها شيئاً. وكذلك لم يكتشف احد حتى الآن بين هـذه الاخربة كتابةً تفيدنا علماً عن اخبار السلف

(١ راجع مقالتنا الافرنسية المعنونة « في بلاد النصيرية »

٣٠ اميون

قد سبق لنا القول عن اميون وقدمها. امّا الآثار الباقية فيها قليلة لا يُعبأ بها. من ذلك صخر منحوت نُقرت فيه كوًى او مشاكٍ. ومنها كهفٌ يُرى اليوم تحت السراية الجديدة كان في ما سلف من الزمان مدفنًا ثمّ جُعل معبدًا لذكر القديسة مارينا. وبقرب الكهف اخربة كنيسة عتيقة بقي منها حنيّتها وكان معبد القديسة مارينا تابعًا للكنيسة معدودًا كاحد مصلّياتها

وقد تكرّر ذكر اميون في تاريخ الموارنة القديم. وكانت اذ ذاك مركزًا مهمًّا للملكيين كما هي اليوم. وممن ذكروا اميون الشريفُ الادريسيّ في كتابه نزهة المشتاق امّا الصليبيون فلم نجد اسمها في تآليفهم وهم يصفون مع ذلك غيرها من قرى الكورة (ويدعونها La Core) ومن املاكهم في هذه المقاطعة كفرقاحل (Caphrahael) وبتوراتيش (Boutourafig) وبطرومين (Bertrandimir) وبديهون (Bethamum) وغير ذلك من الاسماء التي شوّهها الفرنج باللفظ ويسهل اصلاحها

٣١ المُسَيلحة

للبترون الى طرابلس طريقان الواحدة على ساحل البحر والاخرى جبليّة فمن سار في طريق الجبل مجاريًا لوادي نهر الجوز وصل بعد مدّة قليلة الى حصن يُدعى المُسيلحة وهو حرزٌ منيع موقعهُ فوق صخرة منتصبة على الوادي عموديًّا. والوادي في هذا المكان ضيق حَرِج المنعطَف

امّا تاريخ هذا البناء واخبارهُ فمجهولةٌ لم يرشدنا اليها احد من الكتبة. ولعلّ القدماء في الاجيال المنصرمة كانوا شيّدوا هذه القلعة فجعلوها كمركب لحركات العدوّ في مضيق لم يكن لهم ندحةٌ من الاجتياز في وسطهِ ذهابًا الى طرابلس وايابًا منها الى البترون. وما لا شبهة فيه انّ ابنية المسيلحة الحاليّة لا تتجاوز القرون المتوسطة ولا يبعد انّ الصليبيين رمّموها بعد خرابها ان لم يبنوا الى بنائها. وقد بحثنا في اوصاف البلدان لقدماء العرب وفي آثار الصليبيين فلم نجد لاسمها ذكرًا

وفي كتاب رحلة المسفار دي لا روك (١ الافرنسي (De la Roque) انّ الامير فخر

١) راجع كتاب رحلته (ص٢٠٧)

الدين هو الذي بنى المسيلحة. وعلى ظننا انها اقدم منهُ عهداً وانما نُسبت اليهِ كما نُسبت غابة بيروت مع كونها قبلهُ بزمن مديد (راجع مقالتنا في المشرق عن اصل هذه الغابة ١ : ٩٣٩)

واذا خرجنا من المسيلحة وابتعدنا عن الطريق المؤدّية الى طرابلس فلنا الى الشمال لقينا شِعباً يُفضي بمن توغّلهُ الى سطح جبل فسيح يُعدُّ كقسم من مديريّة القويطع وينتهي في شمالهِ الغربي برأس الشقمة (١ بهِ دُعي الجبل جبل رأس الشقمة

٣٢ جبل رأس الشقمة

هذا الجبل قائم بنفسهِ منقطع عن بقيّة لبنان يستلفت اليهِ النظر من بعيد بهيئتهِ الغريبة ووعورة مرتقاهُ. وفي سطح الجبل عدّة قرًى عامرة حتى يومنا هذا اكبرها حامات. وكان لهذه القرية كنيسة قديمة لعلها كانت مزدانة بكتابات (٢. غير انَّ هذه الآثار درست لمَّا بُنيت الكنيسة الجديدة

وهذا الجبل حافل بالاديرة كدير سيدة النوريَّة ودير مار الياس ودير خنوش وغير ذلك من المرابط التي تشيَّد اكثرها فوق ابنية قديمة وهذا ما يحدو بارباب العاديات الى ان يقدموا الى زيارة هذا الجبل الصَّرد. ولو زارهُ الجيولوجيون والجغرافيون لوجدوا فيهِ ما يُجديهم علماً

فلنباشرنَّ بوصف القسم الشمالي من هذا الجبل اعني رأس الشقمة فنقول: انَّ هذا الرأس ينتصب كصخرة صماء. ويدخل في غمر البحر مشرفاً على كل البلاد المجاورة وعلوهُ يبلغ ٣٠٠ متر. واذا نظر اليهِ المسافر القادم من جهة طرابلس رأى شكلهُ اشبه بدارعة هائلة قائمة فوق ثبج البحر لا تبدي حراكاً في رأسها مهاوٍ مرعب لمناوأة عدوّها. وفي جوانب هذا الرأس اخاديد تشهد بما دهمهُ من الزلازل في كرور الاجيال فتضعضعت

١) هذا الاسم اصح من « راس الشكّة » الذي استعملناهُ سابقاً في مقالتنا عن الزلازل في سورية (المشرق ١ : ٢٠٥)

٢) راجع بعثة فينيقيّة لبنان (ص ١٤٥). ونحن نغتنم هذه الفرصة لنكرّر عبارات الشكر لاهل حامات الذين تحفّوا بنا بعد ان رحنا في مشارف ذلك الجبل المقفر ليس بعيداً من خنوش وبتنا عائذة لذا بهادئنا الارض وظلّنا السماء.

اركانهُ وتقطَّعت اوصالهُ . نخصُّ منهـا بالذكر الزلزلة التي حدثت في عهد يستنيان الملك ومرَّ لنا وصفها في المشرق (١ : ٥٠٣) . وهذا الزلزال غيَّر هيئـة رأس الشقمة بل ألحق اهوالهُ بالجبل المجاور لهذا الرأس فشوَّه صورتهُ

وكان القدماء (١ يطلقون على هـذا الرأس اسمًا غريبًا في معناهُ فيدعونهُ وجه الله (Θεοῦπρόσωπον) . امَّا النصارى اليونان فابدلوا اسمهُ باسم وجه الحجر (Λιθοπρόσωπον) وهو اسم قرية مجاورة لهُ موقعها فوق سطح الجبل جنوبًا . ومما يفيدنا التـاريخ ان الإلهة تانيث معبودة الفينيقيين كانت تدعى باسم « وجه بعل » أفلا يسوغ لنـا ان نستنتج من هذه الدلائل ومن المقابلة بين هذه الاسماء انَّ الفينيقيين كانوا اختصوا هذا الجبل بعباداتهم لاسيَّما انَّ صورتهُ الغريبة تستلفت الانظار . وهذا الظن يتأيد بمثـل جبال اخرى في ساحل بحر الشام كان القدماء يعظمونها تعظيمهم للآلهـة كجبل الكرمل وجبل الاقرع شمالي اللاذقيَّة وغيرهما . وكان جبل لبنان نفسهُ مكرَّمًا كإلهٍ يعبدونهُ ويدعونهُ بعل لبنان . امَّا تسمية الكتبة الفرنج لهذا الجبـل برأس مادون (Cap Madonne) فليس هو كما زعم رينان اثرًا لعبادة الإلهة تانيث بل « مادون » تعريب كلمة « السيدة » فقيـل لهُ رأس السيدة اشارةً الى سيدة النورية التي بُني هناك ديرٌ باسمها

وقد ذكر الجغرافي اسطرابون انَّ في زمانهِ كانت قلعةٌ مشيَّدة في اعلى رأس « وجه الله » وان في هذا الجبل ليس بعيدًا من البترون اغوارًا وكهوفًا يأوي اليهـا اللصوص وقطَّاع الطريق كانوا يعيشون في البلاد حتى اجتثَّ بومبيوس دابرهم واستأصل شأفتهم . ولعلَّ هذه المغاور هي الاغوار التي تُرى في يومنا ما وراء قرية « قبَّة » قريبًا من قرية وجه الحجر وهي واسعة تُشرف على البحر (٢

واذا سرت من البترون على ساحل البحر قاصـدًا حنُّوش تمرُّ بازاء مزرعة تدعى سلعاتا عندها نبعٌ جارٍ . وهذه المزرعة لم اتفقَّد آثارها في رحلتي . وقد اتأسف اليوم على فوات الفرصة لانهُ يُحتمل ان سلعاتا هذه هي في مكان بلدة قديمـة دعاها القدماء

١) راجع الجغرافيين كاسطرابون (ك ١٦ ف ٢) وبوليبيوس وغيرهما

٢) راجع الرحَّالة يتزن (Seetzen I, 231)

Σάλτων او Γονσαλτου Σάλτων وقالوا عنها انها كانت كرسيًّا اسقفيًّا وجعلوها مع غيرتا وأنفة (١. ولكن لا بُدَّ من تحقيق الامر والاستطلاع على آثار المكان. وعلى كلّ حال لا يخلو وجود نبع في هذا الساحل الرملي القفر من الدلالة على مقام قديم

ووراء سلعاتا هذه جون صغير يفضي اليه ميل ماء ناشف يدعى وادي غميق. والطريق التي تمرّ حول هذا الجون منقورة في الصخر كالطريق الرومانيَّة التي تُرى عند نهر الكلب. وعلى جانب هذه الطريق صخرة قد كُتب على وجهها أُفقيًا باليونانيَّة ما تعريبهُ: « هنا ينتهي ملك ديوسترات. وقد اتفقنا على ذلك ». وهذه الكتابة ضخمة الاحرف طولها ٣٠ سنتيمترًا وهي كما ترى نصبٌ جُعل للدلالة على حدود الاملاك ومثلها كثير في منعطف لبنان الشرقي بين بحيرة اليمونة وبعلبك

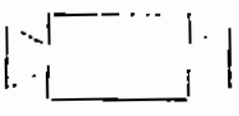

وبازاء هذه الكتابة على الصخر العمودي الذي بجوارها رسمُ تربيع بعروتين على هذه الصورة وليس ضمن التربيع شيء. ولعلَّهُ كان فيها سابقًا كتابة طمسها الدهر لكني لم اجد فيها اثرًا للحروف كالسيَّاح الذين سبقوني الى هذا المكان

وهذه الكتابات مع نقر الصخور تدلّ على انَّ القدماء مرُّوا في تلك الانحاء. ولا ريب ان الطريق كانت تجتاز في هذا المكان ولعلَّها هي الطريق الرومانيَّة التي كانت تتبع ساحل بحر الشام تنعطف بانعطافاته مارَّة حول رأس الشقمة. والمرجَّح ان الجيوش الرومانيَّة كانت تسير في هذه الطريق الساحليَّة لان الطريق الجبليَّة الحاليَّة كثيرة الوعورة صعبة المرتقى وليس فيها شيء من الآثار الدالَّة على اعمال الأقدمين. ومع ذلك ليس اليوم طريق غيرها تصل بين طرابلس واواسط لبنان. امَّا الطريق القديمة على وادي غميق وحنوش ورأس الشقمة فلم تعد مسلوكة. والارجح انَّ الزلزلة التي جرت في ملك يوستنيان دمَّرت هذه السبيل واخربتها

(البقيَّة لعدد آخر)

---

١) راجع ريلند (Relandi Palæstina, p. 216) والمجلة الفلسطينية الالمانية (ZDPV, XXII, 143). بيد اننا لا نبتُّ حكمًا في ما قدَّمنا